

الفصل الرابع عشر

سريّة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل

شعبان ٦٦هـ / ديسمبر (كانون أول) ٦٢٧م / كيهك ٣٤٤ قبطي

المبحث الأول

عرض سريّة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل

التعريف بدومة الجندل:

يقول د/ بريك: «قال في القاموس [مادة (دام)]: «دومة الجندل، ويقال: دوما الجندل، كلاهما بالضم». وقال الجوهري: «أصحاب اللغة يقولونه بضم الدال، وأصحاب الحديث يفتحونها». [الصاحح، مادة (دوم)].

وقال ابن الأثير: «تُضَمُّ دَالُهَا وَتُفْتَحُ». [النهاية ١٤١/٢].

وقال ياقوت: «وقد أنكر ابن دريد الفتح، وعدّه من أغلاط المحدثين». [معجم البلدان ٤٨٧/٢].

قال المسجري: «كُلُّ الْعَرَبِ عَلَى فَتْحِ الرَّاءِ مِنْ رِضْوَى، وَضَمِ الدَّالِ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ».

[هامش معجم ما استعجم للبكري ٥٦٤/٢].

قال في المقتطف: «والصواب في كُلِّ ذَلِكَ أَنَّهَا تَقَالُ بِالضَّمِّ أَوْ بِالْفَتْحِ عَلَى السَّوَاءِ، وَالسَّبَبُ هُوَ أَنَّ اللَّفْظَةَ أَعْجَمِيَّةً، وَهِيَ تُلَفَّظُ فِيهَا بِحَرَكَةِ بَيْنِ الضَّمِّ وَالْفَتْحِ، فَلَمَّا عَرَّبَهَا الْعَرَبُ مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى ضَمِّهَا وَآخَرُونَ إِلَى فَتْحِهَا، وَاللُّغَوِيُّونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمِثَالِ يَضُمُّونَ الْحَرْفَ، وَالنَّقْلَةُ يَمِيلُونَ إِلَى الْفَتْحِ، وَالْمُحَقِّقُونَ يَرَوْنَ الْفَلْظَ عَلَى أَصْلِهِ، وَنَظَنُّ أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ الْأَخِيرَةَ هِيَ الْمَخِيرَةُ فِي عَصَرِنَا لِأَنَّهَا هِيَ الصَّحِيحَةُ لِقَرَبِهَا مِنَ الْأَصْلِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْهُ». [مجلة المقتطف، مجلد ٥٩ / جزء ٢ / ١٥].

واختلف العلماء واللغويون والمحدثون في معنى هذا الاسم:

قال ابن الفقيه: «دومة الجندل من أعمال المدينة، سُمِّيَتْ بِدُومٍ بِنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِيرَاهِيمَ».

[ينظر: معجم البلدان للحموي ٤٨٧/٢].

وقال الزجاجي، والبكري: «سُمِّيَتْ بِدُومَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، كَانَ يَنْزِلُهَا».

[ينظر: معجم ما استعجم للبكري ٥٦٥/٢، ومعجم البلدان للحموي ٤٨٧/٢].

وقال ابن الكلبي: «دوما بن إسماعيل، قال: لَمَّا كَثُرَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ رضي الله عنه بِتِهَامَةٍ، خَرَجَ دُومَاءُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى نَزَلَ مَوْضِعَ دُومَةِ وَبَنَى بِهَا حَصْنًا، فَقِيلَ: دُومَاءُ، وَتُسَبُّ الْحَصْنَ إِلَيْهِ».

[ينظر: معجم البلدان للحموي ٤٨٧/٢].

وقيل: «كَانَ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ اسْمُهُ دُومًا أَوْ دُومًا أَوْ دُومَةُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْحِكَايَةَ مُلَفَّقَةً لِفَقْهَائِهِمْ بَعْضُهُمْ إِثْبَاتًا لِمَدْعَاهُ، وَأَمَّا الَّذِي عَرَفَهُ النَّسَابَةُ بِهَذَا الْاسْمِ دُومٌ بِنِ حَمِيرَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يَعْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ، إِلَّا السَّيِّدَ مَرْتَضَى صَاحِبَ التَّاجِ قَالَ عَنْهُ: «لَمْ أَرَهُ عِنْدَ النَّسَابَةِ». [مجلة المقتطف، مجلد ٥٩ / جزء ٢ / ١١٣].

ومعنى اسمها الحقيقي: «أَنَّهَا كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ مَعْنَاهَا (الحصن)، وعند الرومان دوما: «السطح» والظاهر أَنَّ الْعَرَبَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ اقْتَبَسُوا اللَّفْظَةَ عَنِ الْيُونَانِ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ مَعْنَى دُومَا: «الْحَصْنَ، ثُمَّ تُنَوِّسِي مَعَ الزَّمَنِ، وَالِدَّلِيلُ أَنَّنا نَجِدُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ مَا نَصَّهُ: قَالَ أَبُو سَعْدٍ: «دُومَةُ الْجَنْدَلِ فِي غَائِطٍ مِنَ الْأَرْضِ خَمْسَةَ فَرَاسِخَ، قَالَ: وَمِنْ قَبْلِ مَغْرِبِهِ عَيْنٌ تُثَجُّ فَتَسْقِي مَا بِهِ مِنَ النَّخْلِ وَالزَّرْعِ، وَحَصْنُهَا مَارِدٌ، وَسُمِّيَتْ دُومَةُ الْجَنْدَلِ، لِأَنَّ حَصْنَهَا مَبْنِي بِالْجَنْدَلِ» [معجم البلدان ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨]، فَكَأَنَّهُ قَالَ: «الدُومَةُ: الْحَصْنُ، وَأَضِيفَتْ إِلَى الْجَنْدَلِ لِأَنَّهُ مَبْنِي بِهِ».

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ السَّكُونِيُّ: «دُومَةُ الْجَنْدَلِ: حَصْنٌ وَقَرْيٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ قَرِبَ جَبَلِ طِيٍّ كَانَتْ بِهِ بَنُو كَنْانَةَ مِنْ كَلْبٍ، قَالَ: وَدُومَةُ مِنَ الْقَرِيَّاتِ مِنْ وَادِي الْقَرْيِ إِلَى تَيْهَاءِ أَرْبَعِ لَيَالٍ، وَالْقَرِيَّاتُ: دُومَةُ، وَسَكَكَاةٌ، وَذُو الْقَارَةِ، فَأَمَّا دُومَةُ فَعَلِيهَا سُورٌ يَتَحَصَّنُ بِهِ، وَفِي دَاخِلِ السُّورِ حَصْنٌ مُنِيعٌ يُقَالُ لَهُ مَارِدٌ، وَهُوَ حَصْنُ أَكِيدِرِ الْمَلِكِ». [معجم البلدان ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨].

وَهَذَا - أَيْضًا - كَلَامٌ يَشْعُرُ مِنْهُ أَنَّ الْعَرَبَ الْأَقْدَمِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الدُومَةِ، وَأَنَّهَا الْحَصْنُ الْحَصِينُ أَوْ الْمُنِيعُ، وَمِنْ الْأَدْلَةِ عَلَى أَنَّ الدُومَةَ بِمَعْنَى الْحَصْنِ أَنَّهَا أُضِيفَتْ إِلَى عِدَّةٍ مَوَاضِعَ بُنِيَتْ فِيهَا حُصُونٌ، مِنْهَا دُومَةُ الْكُوفَةِ، أَوْ دُومَةُ النَّجَفِ، وَدُومَةُ الْحِيرَةِ، وَدُومَةُ خَبْتٍ، وَدُومَةُ دِمَشْقَ وَغَيْرُهَا.

[المقتطف، مجلد ٥٩ / جزء ٢ / ١١٤ - ١١٥].

وَذَكَرَ الْبَلَاذِرِيُّ فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْحِيرَةِ يَذْكُرُ أَنَّ أَكِيدِرَ وَإِخْوَتَهُ كَانُوا يَنْزِلُونَ دُومَةَ الْحِيرَةِ، وَكَانُوا يَزُورُونَ أَخْوَاهُمْ مِنْ كَلْبٍ فَيَتَغَرَّبُونَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَمَعَهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا لِلصَّيْدِ إِذْ رَفَعَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ مَتَهْدَمَةٌ لَمْ يَبْقَ إِلَّا بَعْضُ حِيطَانِهَا، وَكَانَتْ مَبْنِيَّةً بِالْجَنْدَلِ، فَأَعَادُوا بِنَاءَهَا، وَغَرَسُوا فِيهَا الزَّيْتُونَ وَغَيْرَهُ، وَسَمَوْهَا دُومَةَ الْجَنْدَلِ تَفْرِقَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ دُومَةِ الْحِيرَةِ».

[فتوح البلدان ٨٤ - ٨٥].

أَمَّا مَوْقِعُهَا، فَقَالَ الْبَكْرِيُّ: «وَدُومَةُ هَذِهِ عَلَى عَشْرَةِ مَرَاكِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَعَشْرٌ مِنَ الْكُوفَةِ، وَثَنَانٌ مِنْ دِمَشْقَ، وَاثْنَتَا عَشْرَةَ مِنْ مِصْرَ». [معجم البلدان ٢/ ٤٨٧].

وَقَالَ يَاقُوتٌ: «هِيَ عَلَى سَبْعِ مَرَاكِلَ مِنْ دِمَشْقَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ».

[معجم البلدان ٢/ ٤٨٧].

وَقَالَ الْحَمِيرِيُّ: «وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ حَصْنٌ مُنِيعٌ، وَمَعْقَلٌ حَصِينٌ، وَبِهِ عِمَارَةٌ وَتَصَلُّ بِهَ عَيْنُ التَّمْرِ».

[الروض المعطار ٢٤٥].

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ غَزَا دُومَةَ الْجَنْدَلِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ، فَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَوَجَّهَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه إِلَى أَكِيدِرَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ بَعْدَ إِسْلَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه بِعِشْرِينَ شَهْرًا، وَهِيَ أَرْضُ نَخْلٍ وَزَرْعٍ

يسقون على النواضح، وحوّلها عيون قليلة، وزرعهم الشعير، وهي مدينة عليها سور ولها حصن عال مشهور في العرب يُدعى «مارد».

[ينظر قول الواقدي في: البلاذري: فتح البلدان ٨٤، وابن عساكر: تاريخ دمشق، المجلد الأول ص ٣٨٥].
قلت: وكذلك بعث إليها عبد الرحمن بن عوف ﷺ على رأس هذه السرية.
قال البكري: «وكان افتتاح دومة صلحاً، وهي من بلاد الصُّلح التي أدّت إلى رسول الله ﷺ الجزية».
[معجم ما استعجم ٥٦٥/٢].

وقد تعرّض أصحاب معلمة الإسلام، وهم جماعة من المستشرقين لذكر دومة الجندل، فقالوا: «جوف السرحان أرض ديار العرب، واقعة في شمال نجد وأنت تتجه إلى سورية على وادي سرحان، وجوف السرحان وتيماء هما الروضتان الكبيرتان من ديار جزيرة العرب، وأكبر مدينة من مدن جوف السرحان كانت دومة الجندل (ويسميتها بطليموس دوميثا) مع حصنها المارد، وقد أقام برخرّد في جوف السرحان سنة ١٨١٢ م، وزارها أوتنك بعده بسبعين سنة، وهي اليوم عبارة عن طائفة قرى ضخمة تطوف بها بساتين وحدائق وغيطان نخل يسمونها (أسواقاً) فيها من ٨٠ إلى ١٢٠ بيتاً، وجملة سكّانها نحو ١٢٠٠٠، والقرى على اختلاف أنواعها تنقاد لأمر شيوخ خاصّة بهم، وفي عهد إقامة برخرّد في الجوف كان أغلب قطّانها تجّاراً صغاراً، وأصحاب مهن، منهم الخفّاف، والحدّاد، والنّجار، وكانوا يبدّلون أمتعتهم وتجارتهم مع الأعراب بأباعر، أمّا اليوم فالّتجارة والاحتراف في سقوط ليس وراءه سقوط، وكان أصحاب تلك الربوع من الوهابيين، وكانت أرضهم داخلية في إحدى كور مملكة الوهابيين التي كان على رأسها اثنان من الأمراء، وبعد انحلال الدولة الوهابية بقي أهلها مستقلّين مدّة مديدة، وفي سنة ١٨٥٥ م خضعوا لشمر الذين في حائل». [المقتطف: مجلد ٥٩/ جزء ٢/ ١١٥ عام ١٩٢١ م].

ومنطقة الجوف اليوم تعدّ من أكبر المناطق الزراعية المتميزة في المملكة، حيث تشتهر بزراعة الفواكه والخضروات، وتتميّز بزراعة الزيتون الذي نجحت زراعته في المنطقة بكميات اقتصادية تُبشّر بالخير». ودومة الجندل تعتبر ثاني أكبر مدينة في المنطقة، وهي اليوم مدينة متطورة شملت النهضة العمرانية الواسعة في العهد الميمون، ولكنّها احتفظت أيضاً بتراتها التاريخية القديمة». [غزوة مؤتة لبريك ١٧٧-١٨٢].

تاريخ السرية:

يقول د/ بريك: «تفرّد الواقدي، وعنه ابن سعد، في ذكر تاريخ هذه السرية، وأنها كانت في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ».

وتابعها في ذلك كل من الطبري، والبلاذري، والبيهقي، وابن سيد الناس، وابن القيم، وابن كثير، والقسطلاني، والشامي، والمقرئزي، والذهبي.

ولم يذكر لها ابن إسحاق تاريخاً، وإنّا ذكرها في جملة السرايا والبعوث، بعد سرية ابن أبي حدرد ﷺ لقتل رفاعه بن قيس الجشمي، وقبل سرية أبي عبيدة بن الجراح ﷺ إلى سيف البحر.

وذكرها خليفة ضمن السرايا التي كانت سنة ست من الهجرة، دون أن يحدد الشهر.

[غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشمالية لبريك ١٨٣].

واعترض د/ بريك على هذا التاريخ بالنظر إلى أن ميلاد أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ﷺ من ابنة ملك دومة الجندل كان سنة بضع وعشرين تقريباً، ورأى أن هذا يجعل السرية في تاريخ متأخر عن هذا التاريخ.

وأقول: إن هذا ليس دليلاً على تأخر تاريخ السرية؛ لأنه ربما لم تنجب أمه إلا بعد هذه الفترة الطويلة، وخاصة أنه ولدها الوحيد، أو غير ذلك، لكن مما يتفق عليه الجميع أن السرية لم تكن لتأخر إلى سنة بضع وعشرين وهي سنة مولد أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

وبهذا أرى أن تاريخ السرية هو ما اتفق عليه هؤلاء العلماء الذين ذكرهم د/ بريك.

سبب السرية:

دعوة أهل دومة الجندل إلى الإسلام. [غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشمالية لبريك ١٨٩].

شَيْءٌ مِنْ وَعْظِ الرَّسُولِ ﷺ لِقَوْمِهِ:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِبَاحٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ [عِنْدَ] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَتَاهُ فَتَنِي [مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ] يَسْأَلُهُ عَنْ إِسْدَالِ [إِرْسَالِ] الْعِمَامَةِ [خَلْفَتِهِ] [فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ]، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَأَخْبِرُكَ [سَأُبَيِّنُكَ] عَنْ ذَلِكَ [عَنْهُ] يَعْلَمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى [حَتَّى تَعْلَمَ]، قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةِ [رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، [وَمُعَاذٌ]، وَحُذَيْفَةُ، وَابْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَجَاءَ فَتَنِي [رَجُلٌ] مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ]، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ [الْكَبَسُ: الْعَقْلُ وَالْفُطْنَةُ] قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ [بِهِ]، أُولَئِكَ مِنْ [هُمْ] الْأَكْبَاسُ».

ثُمَّ سَكَتَ [أَمْسَكَ] الْفَتَى [ثُمَّ إِنَّ الْفَتَى جَلَسَ]، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ [عَلَيْنَا] النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ [خَمْسُ خَصَالٍ] إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَتَزَلَّزَلْتُمْ فِيكُمْ [بِكُمْ] [وَأَدْرَكْتُمُوهُنَّ]، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: [إِنَّهُ] لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا [يُعْلِنُوا] بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ [المرض العام، والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان] وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ [الَّذِينَ مَضَوْا] [قَبْلَهُمْ]، وَلَمْ [وَلَنْ] يَنْقُصُوا [وَلَا أَنْتَقُصُوا] الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخْلَدُوا بِالسَّيِّئِ [جمع سنة وهي الجذب والقحط]، وَشِدَّةِ الْمُؤَنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ [الجور: البغي والظلم والميل عن الحق]، وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ [مِنْ أَمْوَالِهِمْ] إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ [المطر] مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ [وَلَنْ] يَنْقُصُوا

[وَمَا نَقْضُوا] عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ [سُلْطًا] عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ [عَدُوًّا، عَدُوًّا] مِنْ غَيْرِهِمْ وَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ [يَحْكُمُوا] يَحْكُمَ [تَحْكُمَ] أَثِمَّتْهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ [بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ] [وَيَتَحَرَّوْا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ] [وَيَتَحَرَّوْا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ] إِلَّا أَلْقَى [جَعَلَ] اللَّهُ بِأَسْهُمٍ [شَدَّتْهُمْ وَحَرَبَهُمْ وَعَدَاوَتَهُمْ] بَيْنَهُمْ ^(١).

وقال الواقدي: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ رضي الله عنه فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا خَمْسًا قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ: مَا نُقِضَ مِثْلُ قَوْمٍ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسَّيْنِ، وَنَقَضَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَمَا نَكَثَ قَوْمٌ عَهْدَهُمْ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَمَا مَنَعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا أُمْسَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَطْرَ السَّاءِ، وَلَوْلَا الْبُهَاثُ لَمْ يُسْقَوْا، وَمَا ظَهَرَتْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاغُونَ، وَمَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ آيِ الْقُرْآنِ إِلَّا أَلْبَسَهُمُ اللَّهُ شِيْعًا، وَأَذَاقَ بَعْضُهُمْ بِأَسْ بَعْضٍ». [المغازي للواقدي ٥٦١/٢].

التكليف النبوي بالسريّة:

ثُمَّ بدأت مراسم تولية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على الجيش، وهي مراسم بسيطة جدًا ولكنها ذات مغزى عظيم ومؤثر. [غزوة مؤتة والسررايا والبعوث الشمالية لبريك ١٨٩].

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: ثُمَّ أَمَرَ [النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم] عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه [أَنْ] يَتَجَهَّزَ لِسَرِيَّةٍ [بِعَثَّةٍ] بَعَثَهُ [أَمْرُهُ] عَلَيْهَا، وَأَصْبَحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه وَقَدْ اعْتَمَّ بِعِمَامَةٍ مِنْ كَرَايَسَ [الْقَطَنِ كَمَا فِي النِّهَايَةِ] سَوْدَاءَ، فَأَذْنَاهُ [فَدَعَاهُ] النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم [مِنْهُ]، ثُمَّ نَقَضَهُ [فَكَه وَحَلَهُ] [فَنَقَضَهَا] وَعَمَّمَهُ [بِهَا] بِعِمَامَةٍ بَيْضَاءَ، وَأَرْسَلَ [وَأَرْحَى] [فَاسْتَلَّ] مَنْ خَلْفَهُ أَرْبَعَ أَصَابِعَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ [أَوْ نَحْوَهَا]، وَقَالَ: «هَكَذَا يَا ابْنَ عَوْفٍ فَاعْتَمَّ، فَإِنَّهُ أَعْرَبُ [أَعْرَفُ] وَأَحْسَنُ». [مجمع الزوائد ٥/٢٠٩-٢١٠ رقم ٨٥٠٠، وقد سبق تخريجه كاملاً].

وقال الواقدي: «حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قَتَادِينَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه فَقَالَ: «وَتَجَهَّزْ فَإِنِّي بَاعِثُكَ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ يَوْمِكَ هَذَا، أَوْ مِنْ غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

(١) مجمع الزوائد ٥/٢٠٩-٢١٠ في اللباس (٨٥٠٠)، وقال الهيثمي: روى ابن ماجه طرْفًا منه [كتاب الفتن باب العقوبات رقم ٤٠١٩، وقال الشيخ الألباني: حسن]، رواه الطبراني في الأوسط (٥/٦١ رقم ٤٦٧١) وإسناده حسن. ومجمع الزوائد ٥/٥٧٢-٥٧٣ في الجهاد (٩٦١٥)، وقال الهيثمي: روى ابن ماجه بعضه، رواه البزار [مسند البزار ١٢/٣١٥ رقم ٦١٧٥]، ورجاله ثقات. واثخاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ٧/٤٤٥-٤٤٦ في الزهد (٢/٧٢٩٧)، وقال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند رواه ثقات، وابن أبي الدنيا والطبراني في الصغير، والبيهقي في الزهد، ورواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه مختصرًا، ولقصة الزكاة شاهد من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه وتقدم في أول كتاب الزكاة، ولقصة العمامة شاهد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتقدم في كتاب اللباس. والمستدرک في الفتن والملاحم (٨٦٨٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والسيرة لابن هشام ٢/٦٣١-٦٣٢.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: فَسَمِعْتُ ذَلِكَ فَقُلْتُ: لَا دُخْلَنَ فَلْأَصْلَيْنَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْغَدَاةَ، فَلَا سَمْعَنَ وَصِبْتَهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

قَالَ: فَغَدَوْتُ فَصَلَّيْتُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَنَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه، وَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ كَانَ أَمْرُهُ أَنْ يَسِيرَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «مَا خَلَفَكَ عَنْ أَصْحَابِكَ؟»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَدْ مَضَى أَصْحَابُهُ فِي السَّحَرِ فَهُمْ مُعْسِكِرُونَ بِالْجُرْفِ، وَكَانُوا سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ فَقَالَ: أَحَبَبْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ آخِرَ عَهْدِي بِكَ، وَعَلَيَّ ثِيَابُ سَفَرِي.

قَالَ: وَعَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه عِمَامَةٌ قَدْ لَمَّهَا عَلَى رَأْسِهِ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَدَعَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَقَطَّصَ عِمَامَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ عَمَّمَهُ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ فَارْخَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا فَاعْتَمِ يَا بْنَ عَوْفٍ».

قَالَ: وَعَلَى ابْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه السَّيْفُ مُتَوَشِّحُهُ، [المغازي للواقدي ٢/ ٥٦٠-٥٦١].

الوصية النبوية للسرية:

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالْأَلَا رضي الله عنه أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ (الْعَلَمَ وَهُوَ دُونَ الرَّابَةِ) [فَعَنْدَهُ] [فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ]، فَحَمَدَ اللَّهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: «خُذْ يَا ابْنَ عَوْفٍ [فَسَمِّ اللَّهَ]، فَاعْزُوا بِجَمِيعَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْلُوا (الغُلُوبُ: الْخِيَانَةُ وَالسَّرَقَةُ)، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تُمَكِّلُوا (التمثيل: جَدَعَ الْأَطْرَافَ أَوْ قَطَعَهَا أَوْ تَشْوِيهِ الْجَسَدَ وَالتَّنْكِيلُ بِهِ)، وَلَا تَقْتُلُوا وَلَيْدًا [دَابَّةً]»، فَهَذَا عَهْدُ اللَّهِ [إِلَيْكُمْ] وَسِيرَةُ [وَسُنَّةُ] نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيكُمْ [فَهَذَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَسُنَّتُهُ فِيكُمْ].

[مجمع الزوائد ٥/ ٢٠٩-٢١٠ رقم ٨٥٠٠، وقد سبق تخريجه كاملاً].

فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه اللَّوَاءَ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣٢].

وقال الواقدي: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اغْزُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَغْلُ وَلَا تَغْدُرْ وَلَا تَقْتُلْ وَلَيْدًا». [المغازي للواقدي ٢/ ٥٦١].

أحداث السرية:

قال الواقدي: قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه حَتَّى لَحِقَ أَصْحَابَهُ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ، فَلَمَّا حَلَّ بِهَا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَمَكَثَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَقَدْ كَانُوا أَبْوَا أَوَّلَ مَا قَدِمَ يُعْطُونَهُ إِلَّا السَّيْفَ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ أَسْلَمَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرِو الْكَلْبِيِّ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، وَكَانَ رَأْسُهُمْ، فَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ جُھَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ، وَكَتَبَ يُخْبِرُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ فِيهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتُ الْأَصْبَغِ تُمَاضِرَ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَنَى بِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا، وَهِيَ أُمُّ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْفٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ إِلَى كَلْبٍ، وَقَالَ: «إِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَتَهُ مَلِكِهِمْ أَوْ ابْنَتَهُ سَيِّدِهِمْ»، فَلَمَّا قَدِمَ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَاسْتَجَابُوا، وَأَقَامَ عَلَى إعْطَاءِ الْحِزْبَةِ، وَتَزَوَّجَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه ثَمَاضِرَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ بْنِ عَمْرِو مَلِكِهِمْ، ثُمَّ قَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ، وَهِيَ أُمُّ أَبِي سَلَمَةَ. [الغازي للواقدي ٥٦١/٢-٥٦٢].

مصادر ومراجع للدراسة:

- أ - كتب السنة: مجمع الزوائد للهيثمي (٨٠٧هـ) ٢٠٩/٥-٢١٠، الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٧٢٢/٢.
- ب - كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بتهديب ابن هشام (٢١٨هـ) ٦٣١-٦٣٢، الغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ٥٦٠-٥٦٢، الطبقات لابن سعد (٢٣٠هـ) ٨٥/٢، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٨٥/٤، الاكتفاء للكلاعي (٦٣٤هـ) ٤٢٨/٢، إمتاع الأسماع للمقرئزي (٨٤٥هـ) ٢٦٨/١-٢٦٩، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ١٤٩/٦-١٥٢.
- ج - كتب السيرة الحديثة: السيرة النبوية لرزق الله (٤٧٣هـ)، السيرة النبوية للصلابي (٣١٧-٣٢١).
- د - كتب الغزوات والسرايا: صلح الحديبية لباشميل ٥٦-٥٩، السرايا الخربية في العهد النبوي لطنطاوي ٩٥-٩٧، فقه السرايا للعيسوي ١٣٩ + ١٤٩، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشالية لبريك ١٧٥-١٩٨.

خرائط سريّة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل (١)



البحر الكبير (المتوسط)

إيلياء

فلسطين

الإمبراطورية البيزنطية

شمال

شرق

جنوب

غرب

أيلة

سيناء

مدین

بلی

تبوك

قضاة

دومة الجندل

أرض

أبو عبيدة عامر بن الجراح

محمد بن مسلمة

عبد الله بن رواحة

عبد الرحمن بن عوف

علي بن أبي طالب

زید بن حارثة الكلبي

عمرو بن أمية الضمري

كرز بن جابر الفهري

عكاشة بن محصن

عبد الله بن عتيك

جدام

ضبا

الحجر

عذرة

الوجه

أسد

شبه الجزيرة العربية

غطفان

الحناكبة

المدينة النبوية

خبير

جھينة

الملح

النوبة

بنبع البحر

بدر

خزاعة

مهد الذهب

بنو لحيان

المريسي

وایع

بنو الحديبية

غسان

الحدبية

جدة

البحر

أرض السودان

مكة المكرمة

قریش

الشعبية

هذیل

نحلة الشامية

هوازن

الطائف

مقياس الرسم

تقييف

٢٠٠ كم

١٠٠

حفر

سرايا السنة السادسة من الهجرة المباركة

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ١٧٧.

وينظر خرائط سرية محمد بن مسلمة عليه السلام إلى نجد.